
www.kotobarabia.com
حكايات وحواديت
للأطفال الكتاكيت
www.kotobarabia.com
صبحى سليمان

حكايات وحواديت
للأطفال الكتاكيت

تأليف
م / صبحي سليمان

المحتويات

مُقَدِّمَة

الأطفال ...
نعمة من نعم الخالق علينا ...
الحواديت ...
متنوعة ومتعددة ولا يعلمها الجميع ...
القصص والحواديت للأطفال ...

هي كل شيء بالنسبة لهم ... فهي كالسكر في طعامهم الذي يعطي للطعام نكهته ومذاقه؛ فهذا الفن الكبير يتشعب ويختلف من مكان لآخر بكل مكان بالأرض ... لأن كُل شخص يحكي لأبنائه القصص والحواديت علي طريقته الخاصة التي يحبها ... لذا تتنوع القصص والحكايات ... ومن أجل أهمية القصة والحدوتة للطفل كان وجود هذا الكتاب ضرورياً للأطفال كي يعيشوا في عالم الخيال والمتعة ليخرج من بينهم مفكرون وأدباء يحلقون بخيالهم فيتغير الغد إلي شيء أفضل بكثير مما كنا نتوقع ...

وأخيراً أتمني أن يستفيد بهذا الكتاب كُل طفل؛ وأن يفيد به الآخرين ... هدانا ا وإياكم إلي سواء السبيل ... آمين.

مع تحياتي

م / صبحي سليمان

الدرس الأول

صوصو ... صوصو ...

فتح الكتكوت الصغير عينه لأول مرة ... شاهد ضوء النهـار ... سـمع زقزقة العصافير ... دفع قشرة البيضة بقدمه الضعيفة وخرج من وسـطها مبـتلاً مرتعشاً لا يحس بشيء من شدة البرودة ... فهذا البيت الأبيض الجميل الذي كـان يسكنه كان يعطيه الدفء والحنان ... أما هذا الكون الفسيح الذي خرج إليـه فـلا يوجد به شيء سوي البرودة ...

مشي خطوات قليلة حتى تعثرت قدماه في كومة من قش أوقعتـه علـي منقاره الأصفر الصغير ... رفع الصغير رأسه وحاول الوقوف، ونظر ليـري مـا حوله، فإنه كان بداخل البيضة يتخيل العالم الذي سيخرج إليه ...

رأي الكتكوت الصغير شيئاً لامعاً جميل الشكل يزحف علي بطنه بـدلال وانسيابية أعجبته ... فاقترب منه فإذا به يرتفع لأعلي ويرجع رأسه للخاف ...

ابتسم الكتكوت وقال : ـ

ـ مرحباً سيدي ... أنت جميل الشكل حقاً ... !!

ثم مد جناحه علي جلده وقال : ـ

ـ إن لجلدك ملمساً ناعماً وجميلاً ... حتى لسانك المشقوق يعطـي لهـذا الجسـم الانسيابي جمالاً علي جمال ... !!

مالت الأفعى برأسها وأرادت أن تنقض عليه، لكنها فوجئت بعدد كبير من الـ دجاج ينقرها في عدة مواضع في جسدها ... فصرخت الأفعى وتلوت من شدة الألـ م ... وما هي إلا لحظات حتى هربت من حظيرة الدجاج وخرجت منها بلا عودة ...

نظرت الدجاجة الأم لصغيرها وقالت : ـ تعال يا صغيري ... تعال لأحضان أمك.

ابتسم الصغير وقال : ـ

ـ كم أنت جميلة يا أماه ... فمنذ أن كُنت في بيتي الأبيض الصغير وأنا أتمنـ ي أن أراك .. !!

احتضنت الأم صغيرها وقالت له : ـ

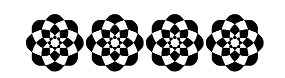
ـ وأنت أيضاً يا صغيري تمنيت أن تخرج من البيضة لآخذك في أحضاني ...

نظر الكتكوت بتعجب وقال : ـ

ـ ولكن... لماذا فعلتم ذلك بهذا المخلوق الجميل يا أماه ... ؟!

ابتسمت الأم وقالت : ـ

ـ إن ما شاهدته يا صغيري هو الأفعى وهي خطيرة جداً ... فليكن درسـ ك الأول في هذه الحياة هو ... ألا تنخدع بالمظاهر.



شجرة البرتقال العجوز

أطلت الأم بحسرة إلي أطلال شجرة البرتقال العجوز التي قطعها الأعداء بالأمس؛ ونظرت إلي ثمرة من ثمارها بيدها وهي تقول : ـ يا لهذا البرتقال اللذيذ، إن أجمل برتقال تذوقته في حياتي هو برتقال شجرتنا ... تلك الشجرة العجـوز ... فلقد أكلتُ خلالَ حياتي الكثير من البرتقال، ولكن برتقال تلك الشجرة لم أذُقْ مثْلَـه قَطّ ...

نظر الطفل الصغير لوالدته وهو يقول : ـ هل لبرتقالنا طعم مختلف يا أُماه ... ؟!

قالت : ـ نعم بالطبع.

أمسك الصغير برتقالة من السلة الموضوعة أمامه؛ ونظر إليها وهو يقول : ـ

ـ صِفِي لي طعمها يا أماه ...

سكتَت الأم لحظة؛ واستغرقت في تفكير لمدة لحظات؛ وكأنّها تُريد أن تَتذكّر الطعم واللون والرائحة، ثم رفعت كِتِفَيها وقالتَ : ـ كل ما أستطيع أن أقولَه إن برتقـال شجرتنا العجوز ... يختلف عن أي برتقال عرفته؛ إنه بالطبع شيء آخَر.

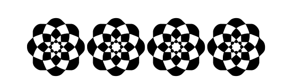
ومنذُ ذلك الوقت ... صار الطفل الصغير كلّما أكل برتقالة، بحث عن هذا (الشيء الآخَر) الذي لم تستطع أُمه أن تَصِفَه ...

وفي صباح أحد الأيام وجد الصغير برعماً صغيراً ينمو مكـان شـجرة البرتقال العجوز التي قطعها الأعداء؛ فابتسم وأمسك بكوب ماء؛ وذهـب ليسـقيها؛ ويوم بعد يوم كبر البرعم حتى صار شجرة قوية؛ وكبر الصغـير حتى صار فتي



قوياً؛ وما إن أثمرت الشجرة بالبرتقال من جديد حتى أمسك الفتي بواحدة؛ وبعد أن قشرها وبدأ في تذوقها أحس بطعم لم يشعر به من قبل ... إنه أجمل طعم تذوقه في حياته ... هنا نظر إلي شجرة البرتقال؛ وقبل أغصانها وهو يقول : ـ

ـ حقاً صدقت أمي إن أجمل برتقال تذوقته في حياتي هو برتقـال شـجرتنا فهـو يتغذى من أرضنا ومروي بعرق أجدادنا ... فأي برتقال يكون ألذ منه ... حقاً كـم هي عظيمة بلادي ...



عندما كبرت النخلة

تثاءب الفلاح عبد الصمد بخمول وارتمي بجسده المتعب أسفل شجرة التوت الكبيرة التي تُظلل جزءاً كبيراً من الأرض المطلة علي جسر الجدول الصغير.

فابتسمت شجرة التوت وتعالت بشموخ وقالت لمن حولها من أشجار : ـ

ـ انظروا ... إن أي إنسان يمشي بجواري لا بد أن يستظل بظلالي ويتغذى علـي ثماري ... ها ... ها ... ها ...

نظرت النخلة الصغيرة إليها وهي تقول : ـ

ـ يا صديقتي إن كُل شجرة منا لها دور تقوم به في هذه الحياة ...

غضبت شجرة التوت من كلام النخلة فنهرتها قائلة : ـ من سمح لك بالحديث أيتها النخلة الحقيرة ... لا تتكلمي حتى أسمح لك بالكلام ...

طأطأت النخلة رأسها وهي تقول : ـ

ـ لا أدري لماذا تفعل بنا ذلك ... ؟! إنها حتى لا تسمح لأشعة الشمس كي تتسـلل إلي أغصاني لأنمو كما تنمو هي ...

نظرت شجرة التوت إلي النخلة وهي تقول : ـ إنني أعلم أنك غاضبة لأنني أمنـع عنك ضوء الشمس ... ولكن ماذا أفعل فإن فروعي كبيرة وكثيرة وهي تحتاج إلي ضوء الشمس كي تنمو وتكبر باستمرار ...

هنا نظرت النخلة إليها وهي تقول : ـ

ـ ونحن أيضاً لنا أغصان تُريد أن تنمو وتكبر ... نحن أحياء بجوارك ويجـب أن نعيش مثلك ... فعيشي ودعي الآخرين يعيشون ...

ضحكت شجرة التوت وهي تقول : ـ

ـ إنني أكبر شجرة هنا ... ولي الحق في أن أتحكم في ضوء الشمس كما أشاء ...

فنظرت إليها النخلة وهي تقول : ـ

ـ خُذي من ضوء الشمس كما تشائين، ولكن لا تمنعيه عنا فإننا أوشكنا أن نموت.

نظرت شجرة التوت باحتقار إلي النخلة ولمن حولها من نباتات صغيرة وقالت : ـ

ـ حسناً ... سأسمح لكم بشعاع واحد من الضوء ... ولن اسمح بغيره ... حقاً كـم أنا حنونة ... ها .. ها .. ها.

نظرت جموع النباتات بغضب إلي شجرة التوت ... ولكن ماذا يفعلان ... ؟! فهـي كبيرة جداً وهم صغار.

ومرت السنوات متتالية ومتتابعة ... واستطاع شعاع الضـوء أن يغـذي النخلـة وصديقاتها من النباتات ... ونمت جميعهاً ... وكبرت النخلـة وأصـبحت كبيـرة وبدأت أفرعها تصطدم بأفرع شجرة التوت ...

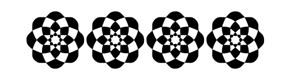
غضبت شجرة التوت عندما أحست بأن النخلة أصبحت كبيرة فحاولت منع شُـعاع الشمس عنها كي تبقي صغيرة ... ولكنها فشلت في ذلك، فبمرور الوقت تعـودت أغصانها علي عدم النمو في تلك المنطقة فنمت بعيداً ... وبمرور الأيام اخترقـت

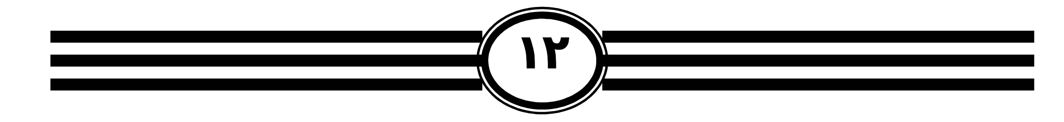
النخلة أغصان شجرة التوت ... فغمرتها السعادة ... فهذه أول مرة تشـعر بطعـم الدفء الحقيقي ... وأيضاً هذه المرة الأولي التي تستخدم النخلة جميع خلاياها فـي النمو ... فنمت كما لم تنم من قبل ... وفي غضون أيام قليلة أصبحت النخلة أعلي من شجرة التوت بكثير ...

وشعرت شجرة التوت بالضآلة ... وبأنها ليست الشيء الكبير الذي أحست به طوال عمرها ... كما شعرت النخلة بما تحس به شجرة التوت فحدثتها بهدوء قائلة : ـ

ـ يا صديقتي إننا جميعاً إخوة ... وكُل نبات منا أو شجرة له دور مهم في الحياة؛ فإن كُنتِ تُظللين الناس فأنا أطعمهم التمر الشهي ... فإننا قديماً قد تجاوزنا المحنـة التي كُنا فيها ... واليوم لا نُريد أن نكون أعداء بل نُريـد أن نكـون أصـدقاء ... فالصداقة هي أهم شيء في الكون ...

أحست شجرة التوت بخطأها وشعرت بسعادة لم تشعر بها من قبـل ... فلقد أحست بطعم الصداقة للمرة الأولي ...





الحجر الصغير

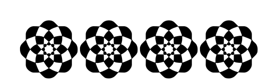
هوى المعول بقوة على أحجار المنجم القديم فتطاير منه بعض الشرر ... تبعه ظهور بصيص ضوء خافت تسلل من جدران الحائط الكئيب؛ فتبسـم العامـل الفقير؛ فأخيراً قد أثمرت جهوده بشيء ذى قيمة ... فهو منـذ سـنوات يحـاول؛ ويحاول؛ ولكن دون جدوى ...

انهال المعول بطرقات متتالية على الماسة ليستخلصها من وسـط كُتـل الفحم المتحجرة والتي كونت جدران ذلك المنجم العتيـق ... انهالـت الضـربات الواحدة تلو الأخرى؛ فخرجت الماسة المضيئة من وسط كومات الفحم ... وفى أقل من لحظات أصبح يمتلك ماسة؛ ثُم تغيرت الأحوال مع العامل الفقير؛ من الفقر إلى الغنى؛ ومن الحزن؛ إلى السرور؛ فبين عشية وضحاها يغير ا من حالٍ إلي حال.

هنا أغلق الشيخ العجوز كتاب حواديت الأطفال؛ ونظر إلى حفيده؛ وهـو يقول يا بنى بين لحظة وأُخرى يغير ا من حالٍ إلي حال ... صدقني يا بنى فلقـد رأيت هذه الأرض الميتة خضراء ذات يوم ... وقريباً بإذن ا سـتمتلئ بأشـجار الزيتون علي يديك أنت وأقرانك ... وستعود البسمة للصغار ... وسيأتي اليوم الذي ستقول فيه عاشت بلادي حرة أبية ... وستُخرج الأرض أجمل الثمار لأنها مرويـة بدماء الشهداء ... صدقني يا صغيري فمهما طال الليل فلابد من طلوع النهـار ... ومهما ساد الظلم فلابد للخير أن ينتصر ... ولابد للقيد أن ينكسر ... ففي سواعدكم

الصغيرة هذه وضع ا قوة الحق بها ... ووسط تلك الظلمة الحالكة سيخرج أمثالك يمسكون بمشاعل النور التي تُذهب الظُلمة وتسترد الأرض؛ وترجع فلسطين حـرة أبية؛ ونعيش معاً في سعادة وهناء؛ ونحمد ا علي ما أنعمه علينا ...

هنا نظر الصغير إلي جده؛ وقبل جبينه؛ وأمسك بحجر صـغير؛ وذهـب وهو ينظر لخالقه ويقول : ـ وما رميت إذ رميت ولكن ا رمي ... اللهم اجعلهـا حجارة من سجيل ... تجعلهم كعصف مأكول ... آمين ...



دمعة حنان

هبت نسمة هواء قوية علي عش اليمام الضعيف الموجـود أعلـي قمـة شجرة الكافور؛ فانحنت الشجرة بدلال لتفادي الانكسار؛ ورجعت لوضعها الأصـلي بعد قليل ... إلا أن فرخ اليمام الصغير سقط من أعلي الشجرة واحتجزتـه بعـض الأفرع والأغصان المتشابكة في وسط الشجرة ... هنا وقف الفرخ الصغير وتمالك نفسه ومشي بخطي متثاقلة ناحية ساق الشجرة الأساسي الموجود بالمنتصف فهـذه أول مرة يسقط فيها من أعلي الشجرة فريشه الصغير عجز عن حمل جسده الهزيل؛ ولكن قريباً سينمو ريشه ولن يقع مرة أخري لأنه سيتعلم الطيران؛ وما أن وصـل الفرخ الصغير لساق الشجرة الأساسي حتى بكي بحرقة فلقد وجد قليلاً مـن الـدم الأحمر يخرج من جناحه الصغير ... واشتد بكاؤه عندما رأي الدم الأحمر يتـدفق من جرحه الصغير ... وقبل أن ينظر لجناحه مرة أخري وجد أمه أمامـه تُسـرع بالاقتراب منه وهي خائفة عليه؛ وقالت له بلهفة : ـ هل تأذيت يا صغيري ... ؟!

رفع الصغير جناحه لأعلي وهو يقول : ـ لا أدري ماذا حدث لجناحي يا أمي ...؟

وقبل أن يستكمل حديثه حملته الأم علي ظهرها وطارت به لأعلى الشـجرة وهـي تقول : ـ لا تخف يا صغيري.

وما إن هبط الصغير وجلس علي أرض العش حتى احتضن والدته وهو يقول : ـ لقد زال الألم ما إن شعرت بقدومك يا أمي ... واحتضنته الأم برفق ... وانسـابت دمعة حنان من عينها سقطت علي الجرح جعلته يلتئم في هدوء ...

الخير يعم الجميع

نظرت ماكينة المياه الحديثة إلي الشادوف باحتقار؛ وقالت له : ـ ابتعـد قليلاً يا هذا ... إنني قمة التكنولوجيا ... وأنت قديم عتيق لا تصلح لأي شيء ...

نظرت الساقية إلي أصدقائها قائلة : ـ مهلاً رجاء كُفّا عن العراك ... إن قلبي يتمزق من أجل الحاج عبد اللطيف ... فإننا لم نسق أرضـه منـذ شـهر ... أرجوكما يجب أن تتفقا فالأرض مشتاقة للماء العذب ...

وهنا تحدثت ماكينة المياه بغرور قائلة : ـ اسكتي أنتِ أيتها الساقية فلـن يعمل أي منا في نقل المياه حتى يتبين من هو الأفضل بيننا ...

لكن الشادوف نظر إلي ماكينة المياه وقال لها : ـ إن كُنتِ سريعة فـي نقل المياه فإن صوتك مزعج ... وإذا سها الفلاح عنكِ لحظـات قليلـة أغرقتـي الأرض بالمياه؛ وقتلتي جميع النباتات ...

ضحكت ماكينة المياه بسخرية ونظرت للشادوف باحتقار وهي تقول : ـ إن عملك يتطلب مجهوداً كبيراً؛ والذي تقوم أنت به في أيام أقوم أنا به في ثوانٍ معدودة.

فنظر لها الشادوف في كبرياء؛ وقال : ـ لقد استخدمني الفراعنة في ري الأرض ... وبفضلي أقاموا السدود؛ والترع ... فإن كُنتِ حضـارة اليـوم؛ فأنـا حضارة الأمس؛ ولولاي ما كُنتِ أنتِ ..

حاولت الساقية أن تهدأهم قائلة : ـ نحن جميعاً أصلنا واحد ... وهدفنا واحـد ... ولا أدري لماذا تختلفون ...

هنا تحدثت نبته صغيرة تطل من الأرض بإعياء؛ وتعب؛ وقالت : ـ يا إخـوان إن ما تفعلونه كثير جداً وصعب ... أنتم مختلفون في الرأي؛ ولكن هذا يضرنا نحـن؛ كُل واحد منكم يريد أن يثبت منفعته وقوته؛ وهذا بالنسبة لكم اختلافاً في الـرأي... أما بالنسبة لنا معشر النباتات فهو حياة أو موت ... إننا نُعاني منذ شهر؛ ونكـاد أن نموت؛ فقد كنا نشرب الماء علي أيديكم؛ ولكنكم تمنعونه عنا الآن ... أنتم بالنسـبة لنا مصدر حياة ... ثُم ماذا سيفيدكم معرفة من الأفضل ... الأفضل يا إخوان هـو من يستطيع إسعاد غيره أكثر ...

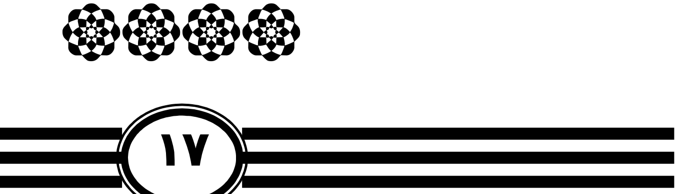
نظرت ماكينة المياه إلي نفسها؛ وأحست بأنها صغيرة لأنها فكرت في نفسها فقـط؛ وهكذا فعل الشادوف؛ وتبادلا النظرات إلي بعضهما البعض؛ ثم امتدت يد الشادوف ليسلم علي ماكينة المياه وهو يقول : ـ

ـ حضارة الأمس تُسلم علي حضارة اليوم وتريد أن تتحد معها من أجل مصـلحة هذه النباتات ...

مدت ماكينة المياه يدها وسلمت علي الشادوف وقالت له : ـ

ـ حقاً كم أنت عظيم ... فأنت بمثابة جدي؛ ولولاك ما كُنت أنا ... هيـا بنـا الآن لنُسعد تلك النباتات الحزينة ...

وهكذا لم تمض لحظات إلا وانطلق الماء غزيراً يروي الأرض العطشى ...



حديقة عم حسن

تفتحت زهرة الياسمين الرقيقة على مداعبة شعاع الشمس لأوراقها البيضاء المتلألئة ... ففتحت عينيها على ابتسامة الصباح وجمال الطبيعة من حولها؛ فالخُضرة تملأ المكان والأزهار الملونة البديعة بألوان الربيع ترسم لوحة ربانية فائقة الجمال ...

جلس العم حسن في كوخه الخشبي بجوار بوابة الفيلا الجميلة؛ فتنسم تلك الروائح الذكية وقال في نفسه : ـ اللهم لك الحمد على نعمك الكثيرة ... ثم تنبه لصوت عربة صاحب المنزل الفخمة فقام على عجالة من على سجادة الصلاة وخرج كي يفتح البوابة الحديدية ... فهذا وقت خروجه لعمله فهو مسئول كبير في إحدى الهيئات الحكومية ... خرج السيد بعربته بعد أن حياه بأطراف أصابعه تحية قصيرة؛ ومقتضبة؛ ابتسم على أثرها العم حسن ودعا له عدة دعوات من صميم قلبه حتى غابت العربة عن العيون...

أغلق العم حسن البوابة وعاد إلى كوخه وخرج منه ومعه فأسه وجاروفه وأدوات أخرى تلزمه في تقليم الأزهار ورعايتها...

اقترب العم حسن من حديقة الفيلا؛ فوجد أبناء صاحب المنزل يلعبون بالكرة على النجيلة الخضراء المبللة بماء الندى ... فابتسم لهم وقال : ـ

ـ صباح الخير يا أبنائي ...

رد عليه الأولاد بابتسام قائلين : ـ

ـ صباح الخير يا عم حسن ... تعال العب معنا ...

ضحك العم حسن بصوتٍ عالٍ وقال : ـ

ـ شكراً يا أبنائي فلدى عمل هام ... كما إنني كبرت على اللعب ...

أمسك أحد الأبناء بجلباب العم حسن وقال له : ـ

ـ هل حقاً ستتركنا يا عم حسن ...؟!

رفعه العم حسن إلي صدره وقال له : ـ نعم يا أحمد ولكن ليس كثيراً .... فـإنني سأتغيب لمدة ثلاثة أشهر فقط لأن ابني الكبير سيتزوج ويجب أن أرتّب معه عـدة أمور ... كما إنني لم أزرهم منذ فترة طويلة ...

ارتمى أحمد الصغير في أحضانه وقال : ـ سأشتاق إليك يا عم حسن ...

اقترب باقي الأبناء وقالوا معاً وهم يحتضنونه : ـ سنشتاق إليك يا عم حسن ...

ومرت الأيام ... وذهب العم حسن لبيته في القرية وانقضت الثلاثة أشهر ... ورجع لحديقته المحبوبة .... فإذ به يصعق عند ما لم يجدها ... حتى إنه اعتقد أنه أخطـأ في البيت ودخل بيتاً آخر ... إلا أن صاحب البيت حياه واقترب منه وهو يقول : ـ

ـ مرحباً يا عم حسن ...

ابتسم له وقال : ـ مرحباً بك يا سيدي ... كيف حالك؟ وحال الأبناء ...؟!!

طأطأ صاحب البيت رأسه وأخرج زفيراً طويلاً وقال : ـ

ـ الحمد ... الحمد على كُل شيء ...

بدت علامات الحزن واضحة على صاحب المنزل فاقترب العم حسن منه وقال له :

ماذا حدث يا سيدي ؟! ... لماذا أنت حزين هكذا ؟!

نظر صاحب البيت وقال : ـ إن الأبناء مرضى يا عم حسن منذ أكثر من شهر ... وبالرغم من أن أكبر الأطباء قد فحصوهم إلا أنه لا توجد أية نتيجة ...

نظر العم حسن إلى بقايا الحديقة وقال : ـ وماذا حل بالحديقة .... ؟!

ـ أزلتها منذ رحيلك ومهدت الأرض كي أجعلها ملعباً كبيراً للأبناء ليلعبوا فيه ... ولكن للأسف لم يلعبوا فيه كثيراً...

ابتسم العم حسن وربت على كتف صاحب البيت وقال : ـ إن ما فعلته هو سبب مرض أبنائك يا سيدي ... تعجب صاحب المنزل وقال : كيف ذلك ؟!

أخذ العم حسن بيد صاحب المنزل وقال له: ـ تعال معي ...

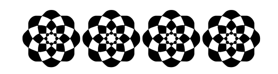
وخرجا معاً إلى خارج البيت وقال العم حسن بعدما أشار بيده لما حوله من منازل ومصانع : ـ إننا نسكن في مدينة كبيرة بها المصانع؛ والعربات؛ والقطارات؛ وكُل هذه الأشياء لها عوادم وأبخره ضارة بالإنسان ... ولكن من رحمة ا علينا أن أعطانا النباتات؛ والأشجار؛ والأزهار التي تحول تلك السموم الطائرة إلى أكسوجين نقي؛ وروائح جميلة تُعطينا الصحة والقوة ... فالنباتات هي رئة المدن... وعندما أزلت الحديقة سمحت للأبخرة والروائح الفاسدة بالدخول إلى صدور أبنائك فمرضوا ... إن صحة أبنائك هي الأزهار؛ والأشجار؛ والخُضرة يا سيدي هذا بالطبع مع علاج الطبيب ...

احتضن صاحب المنزل العم حسن وقال له بعين تترقرق منها الدموع : ـ

ـ شكراً لك ... شكراً لك ...

وبعد عدة أشهر لعب الأبناء بالكرة بعد أن دبت فيهم الحيوية والصحة من جديد في الحديقة التي ازدهرت من جديد؛ وكبرت أشجارها ... والعـم حسـن ... يجلس بهدوء في كوخه الخشبي كعادته كل يوم؛ وهبت نسمة عبيـر عليـه فتنسـم رائحتها الذكية وهو يقول : ـ

ـ ا   ما أجمل رائحة الأزهار ... الحمد   على نعمه الكثيرة ...



قطرة ندى

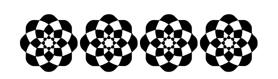
انزلقت قطرة ندي من علي سطح ورقة الشجرة الخضراء ... وسـقطت بانسيابية ودلال فوق رأس العصفور الصغير الذي تبلل جناحه وبدأ البرد يسري في جسده النحيل ... إلا أنه احتضن والدته وتسلل بين ريشها الدافئ وضمها بقوة وهو يقول : ـ كم أحب حضنك يا أماه ...

هنا ابتسمت الأم وهي تضمه بحنان قائلة : ـ بل أنا من ُأحب حضنك يا صغيري ...

وبعد أن نام الصغير همست الأم إلي شجرة الورق الخضراء قائلة : ـ شكراً لكِ يا صديقتي ... فأنتي دائماً تُرجعين صغيري إلي أحضاني كُلما فارقني ...

ابتسمت ورقة الشجرة الخضراء وهي تقول : ـ إنني ألقي قطرة النـدي علي رأسه الصغير كي يشعر بالبرد ويرجع إلى دفء أحضانك ... وكي يـتعلم أن الابتعاد عنك خطأ كبير ... وأنا لا أفعل شيء سوي وضع علامات توجيه صغيرة للطريق السليم ...

شكرتها الأم وعادت لنومها في أحضان صغيرها ... ولكن ورقة الشجرة نظـرت إلي قطرة ندى أخرى جهزتها إذا ما ابتعد العصفور عن حضن أمه مرة أخرى ...





بكاء صغير

زقزق العصفور الصغير بعناء بعد أن خرج مـن البيضـة ... ومشـى بخطى متثاقلة تجاه الصوت الذي كان يسمعه من داخل بيضته وارتمى في أحضان أمه ... وقتها شعر لأول مرة بالدفء والحنان ... فتح عينيه لأول مـرة؛ وتأمـل وجه أُمه الجميل؛ ونظر إلي ريشها البديع؛ وقال بصوت متقطع ضعيف : ــ كـم أنتِ جميلة يا أُمي ... ابتسمت الأم واحتضنت صغيرها بقوة وهي تقول : ـ وأنت أيضاً يا صغيري أجمل عصفور رأته عيناى ...

ربتت الأم علي صغيرها بهدوء وحنان حتى نام؛ فوضـعته فـي عشـه الصغير وقالت له بصوت هادئ لم يسمعه : ـ بالتأكيد أنت جـائع يـا صـغيري سأذهب كي آتي لك بطعام ... وطارت الأم بهدوء متوكلة علي الرزاق كي تـأتي بالطعام لصغيرها ...

هنا ساد الصمت فجأة ... تنبه الصغير واستيقظ من نومه ... وبحث عن أمه فلم يجدها ... صاح الصغير واستنجد بأمه ... ولكنه لـم يجـدها ... صـاح وصاح ولكن لم يأتِ له أي رد ...

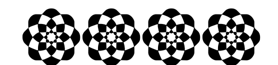
تكور الصغير في أحد أركان العش بعد أن تعب مـن الصـراخ وشـعر بالبرد وبظلام الدنيا ... فلقد أحس ولأول مرة بدفء حضن الأم؛ ولكنه فجأة ضاع منه ... فنظر نظرة للسماء وقال لخالقه : ـ ساعدني يا ا ...

ووضع رأسه بين جناحيه؛ وبكى بحرقة علي فراق أُمه؛ وفجأة تنبه الصغير علـي صوت حنون يقول له : ـ لا تبكِ يا صغيري ... لقد رجعت وجئت لك بالطعام ... ابتسم الصغير ... وملأت السعادة قلبه ... وجري تجاه أُمه ... واحتضنها بقوة ...

كتاب يتعلم

خرج كتاب من المطبعة تواً واتخذ مكاناً علي رف أنيق بالمكتبة ...

فتح عينيه لأول مرة ... وتطلع إلي الكلام المكتوب علي غُلافه الجميل ... فوجد مكتوباً عليه (كتاب التاريخ) ... يا له من اسم رائع، يجب أن يفتح غُلافه ليتعلم ويعرف ماذا يحوي بداخله؛ فما فائدة التاريخ إن لم نتعلم ... وفي الصفحة الأولي وجد حضارات كثيرة فقلب صفحاته الواحدة تلو الأخرى فوجد للإنسانية تاريخاً عظيماً ... فتاريخ الأنبياء وحضارة الفراعنة والسوماريين والإغريق ... فرأي وتعلم وعرف الكثير ... فلقد أصبح يفتخر بما يحوي بين صفحاته ... ولكنه فجأة أحس بألم شديد ... وعندما جاء الليل شعر بأيدٍ خبيثة تعبث بين صفحاته وتُحرف وتمحو سطوراً وتزرع سطوراً ... وشعر براية تُغرس في قلبه فتألم ... وفي الصباح عندما أضاء النهار وجد تاريخاً جديداً قد تزور ... وفي وسطه راية للشر بيضاء اللون؛ وعند جانبها خطوط زرقاء؛ وفي وسطها نجمة سداسية لا تعرف الرحمة ...



البطل الصغير

انفتح الشباك على مصراعيه بصريره المعتاد؛ ووقف الأستاذ خالد أمامه وهو حاملاً ابنه الصغير "محمد" الذي تجاوز السنة الأولى ببضعة أيام؛ وأخذ يداعبه بسعادة غامرة؛ وبحب أبوي كبير ...

فمحمد ابنه الوحيد وأجمل شيء في حياته؛ واستمر الأستاذ خالـد بمداعبـة ولـده الحبيب؛ وبينما هو كذلك إذ به يجد ابنه محمد يصيح ويصفق بذراعيه وهو يقـول بعض كلمات غير مفهومة : ـ مامه ... مامه ... مامه ...

ابتسم الأب؛ وهو يداعب شعر صغيره وهو يقول : ـ

ـ إن أمك تُعد لنا الغداء بالمطبخ ... وليست في الشباك يا حبيبي ...

استمر الصغير في النظر بسعادة والتلويح بيده الصغيرة ناحية الشباك؛ وهو مـازال يتمتم بتلك الكلمات غير المعروفة؛ وهذا ما جعل الأب ينظر أخيراً إلى ما ينظر إليه ابنه ... فإذ به يجد عصفورة صغيرة ترقد على بيضها ....

وعندما علم أن كلمة مامه تعني عصفورة بلغة محمد الصغير؛ داعب شعرة بسعادة واحتضنه؛ وقربه من الشباك وهو يحدثه ويقول : ـ

ـ هذه عصفورة يا محمد ... عصفورة وليست ماما ...

جاءهم صوت مرح من خلفهم وهو صوت الأم؛ وهي تقول بسعادة : ـ

ـ لقد حضرت ماما ... ومعها طعام حمادة الصغير ... واقتربت الأم وهى حاملـة لطبق صغير به طعام محمد ...

هنا انتبه محمد الصغير لوالدته وما إن شاهدها حتى ارتمي في أحضـانها؛ وعلـي وجهه إمارات السعادة؛ والمرح.

حاولت الأم الجلوس علي مقعد وثير بداخل الغرفة إلا أن محمد رفض وبـدأ فـي الصراخ والنحيب ليرجع إلي أحضان معشوقته العصفورة وبيضـها الصـغير ...

نزلت الأم مرغمة إلي تلبية أوامر الصغير الذي أعادت إليه بسمته مرة أخرى مـا إن رأى العصفورة وبيضها ...

أخذت الأم تُطعمه قطعة قطعة من ذلك الطعام الموجود بالطبق ...

ولم ينس محمد محبوبته العصفورة فأخذ يلوح لها وكأنها معشوقته التي لا يرضـى لها بديلا ... بل إن الأمر تطور أكثر من ذلك حيث إنه أخذ يغنى ويتمـتم بألحـان جميلة وهو يتناول وجبته المفضلة ...

وفجأة تغيرت ملامح محمد الصغير؛ وأخرج الملعقة من فمه؛ وأخذ يقول بصـوت مزعج : ـ

ـ ططه ... ططه .... ططه ...

ربتت والدة محمد على صدره وهى تقول : ـ

ـ لا يا محمد إنها عصفورة وليست قطة ...

لكن محمد أصر؛ وأخذ يشير بغضب وهو يقول بصوت مرتفع : ـ

ـ ططه ... ططه ... ططه ...



هنا نظر الأستاذ خالد تجاه العصفورة وهو متعجب من إصرار ولده؛ فإذا به يجـد قطة الجيران تقترب من العصفورة ببطء؛ وتريد أن تنقض عليها لتأكلها ...

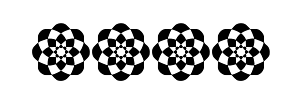
وبسرعة أمسك الأستاذ خالد الطبق الذي يتناول محمد فيه طعامه؛ وقذف به القطـة بقوة ... فإذ بها تسقط في أرضية شُرفة الجيران؛ وهي تتألم ... ولكنها وقفت مرة أخرى لتنقض على العصفورة مرة أخري ...

وقبل أن تنقض عليها إذ بزوجه جاره تنهال عليها ضرباً بالمكنسة وتُخرجها من البيت لأنها سرقت الدجاجة التي أعدتها للغذاء والتهمتها ...

هنا نظر الأستاذ خالد إلى ابنه بفخر وحب؛ ونزل إلى الشارع مسرعاً وعاد ومعـه طبق جديد لمحمد كتب عليه : ـ

ـ هذا طبق البطل محمد الذي أنقذ العصفورة ...

وأخرج الكاميرا؛ والتقط صورة للبطل محمد؛ ووالدته؛ ومـن خلفهمـا ظهـرت العصفورة وهي تُداعب أول صغير من صغارها يخرج من البيضة ....



البيت الطائر

لمع سهم مضيء في السماء؛ ثُم هوى إلي الأرض بسرعة كبيـرة حتـى اختفى عن الأنظار ... وهذا ما جعل عيون أرنوب تتسع عن آخرها فهذه أول مرة يرى فيها هذا السهم المضيء ... فجرى ناحية أمه وارتمى فـي أحضـانها وقـال يتساؤل : ـ أمي ... رأيت سهم مضيء يسقط من السماء ولا أدري ما هو ... ؟!!

ابتسمت الأم وهي تُداعب شعر صغيرها وتقول : ـ إن هذا الشيء حجر صغير سقط من السماء بسرعة كبيرة.

اتسعت عينا أرنوب ونظر لوالدته وهو يقول : ـ

ـ يا أمي ... هل السماء كبيرة ... ؟!!

ردت الأم قائلة : ـ نعم يا صغيري كبيرة جداً ...

نظر أرنوب إلى السماء وقال : ـ

ـ يا ليتني أصعد للسماء وأرى النجوم والكواكب ... وأشاهد بديع خلق ا ...

ابتسمت الأم وهي تقول لصغيرها : ـ يا بني ... لقد خلـق ا لنـا الأرض كـي نعيش عليها ... ومهما كانت النجوم والكواكب جميلة ... فالأرض أجمل بكثير ...

والآن هيا ... لقد تأخر الوقت ... اذهب لتنام داخل حجرتك ...

قبل أرنوب يد أمه ... واتجه لغرفته لينام ...

وفي صباح اليوم التالي ... أشرقت الشمس بنور ربهـا ... وصـدحت الطيور بهجة بقدوم الصباح ... وازدهرت الورود والرياحين؛ ونثرت عبيرها هنـا وهناك معلنة عن قدوم الربيع؛ لتتأهب النحلات لرشف رحيقها اللذيذ؛ ولاستنشـاق عبيرها الذي يأخذ بالألباب ...

استيقظ أرنوب علي صوت مرتفع ... فنظر من نافذة بيته الزجاجي ليري ما هذا الصوت الذي عكر صفو نومه ؟!! فوجد عدداً كبيراً من البشر يجري هنـا وهناك ... وأرجل متسارعة تهرول في أرضية الحجرة الحديدية فتعجب مما يحدث وبدأ يمل من هذا الصوت الذي يقول أرقاماً متتالية دون توقف ... حتى إنه يرددها بالمقلوب ... ولا يدري لماذا ؟!!

حتى قال ... خمسة ... أربعة ... ثلاثة ... اثنان ... واحد ... صفر ... انطلاق ... هنا دوي صوت قوي أسفل المنزل الحديدي وارتفع فجأة عـن الأرض بقوة هائلة ...

اهتز البيت الصغير الذي يسكن فيه أرنوب بقوة وعنف ... وشيئاً فشـيئاً بدأ ضوء النهار في الخفوت ... حتى تلاشى تماماً وبدأت ظلمة حالكة تحل محلـه ... وظهرت الشمس من بعيد كأنها طبق من الذهب اللامع ... واقترب القمر شـيئاً فشيئاً وظهر بوجه قبيح غير الذي كان يراه ... فالحفر الغائرة تملأ وجهه المضيء ونوره الساطع بدأ في الخفوت ... : ـ ما هذا ... ؟!

قالها أرنوب وهو يرتفع لأعلى ... إنه ملتصق في سقف البيت ... إنه لا يستطيع أن يمشي علي أرضية البيت ... صاح أرنوب قائلاً : ـ

ـ النجدة يا أماه ... النجدة ... إنني أطير في الفضاء ...

خرج أرنوب بصعوبة من حجرته ليجد والدته علي نفس حالها ... فهـي الأخرى ملتصقة بالسقف ... ولا تستطيع أن تمشي كما كانت تمشي من قبل ... ما الذي يحدث يا أمي ... ؟! قالها أرنوب بخوف ...

اقتربت الأم بصعوبة وأمسكت بيده وهي تقول : ـ إننا الآن في الفضـاء يا أرنوب ... انظر حولك ...

وأشارت إلي القمر الذي يقتربون منه وهي تقول : ـ هذا هـو القمـر ... ونحـن نقترب منه بسفينة الفضاء التي نستقلها ... أليس هذا ما تمنيته يا أرنوب ... ؟!!

انزعج أرنوب وهو يقول : ـ لا يا أمي إنني أريد السماء التي بها الكواكب الجميلة والنجوم المتلألأة؛ ليست هذه ... !!

ربتت الأم على ظهر صغيرها وهي تبتسم قائلة : ـ يا صـغيري ... إن النجوم المتلألأة التي تقول عنها ما هي إلا كُرات ضخمة من النيران الملتهبـة ... والأرض هي المكان الذي خلقنا ا لإعماره ...

هنا احتضن أرنوب والدته وهو يقول : ـ الأرض ... لقد اشـتقت إلـى الحشائش الخضراء ... والأزهار الجميلة ... والماء العـذب الـذي ينسـاب فـي

الجداول كحبات اللؤلؤ ... ولنسيم الأزهار والرياحين ... ولضوء الشمس الساطع؛ ولوجه القمر الجميل ... ولـ ـ

ربتت الأم بحنان علي ظهر أرنوب ... وهي تقول له : ـ أرنـوب ... أرنوب ... هيا استيقظ ... لقد طلع النهار... هيا يا صغيري الإفطار جاهز ...

فتح أرنوب عينيه فوجد نفسه نائماً على سريره ... وبجواره أمـه التـي ابتسمت ابتسامة عذبة وهي تقول : ـ صباح الخير يا صـغيري ... هيـا اسـتيقظ الإفطار جاهز ...

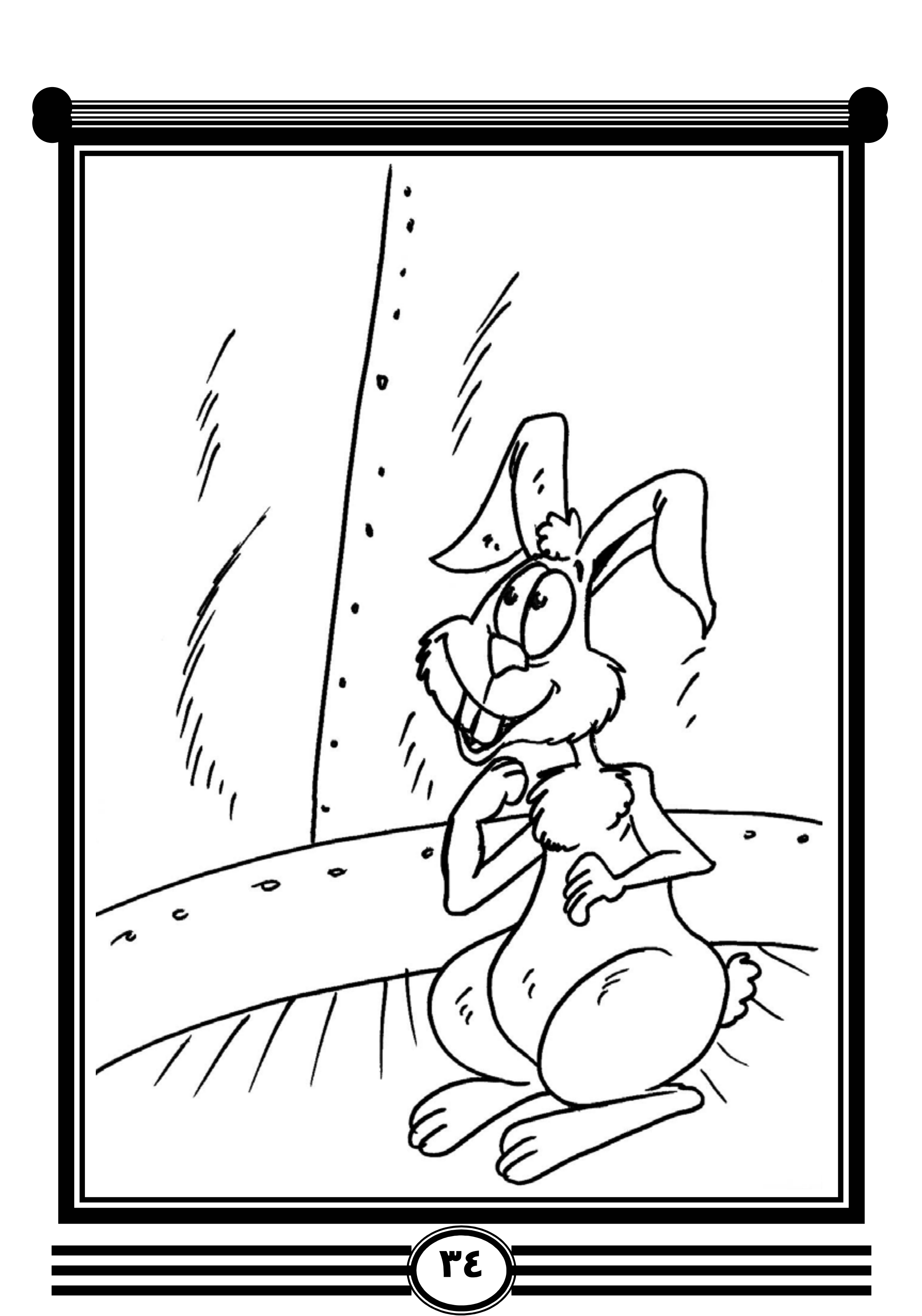
نظر أرنوب من حوله فوجد بيته لم يتغير والأزهار والرياحين تحيط بـه من كل مكان ... فصاح فرحاً من السعادة وقبل أمه وهو يقول : ـ الحمـد ... نحن علي الأرض ... الحمد أنا في بيتي ... وسط الحقول ولست فـي البيـت الحديدي ... الحمد لقد كان حلماً ...

احتضنت الأم صغيرها وهي تقول : ـ ما بك يا صغيري؛ هل كنت تحلم ... ؟!!

يقف أرنوب علي سريره وهو ينظر لوالدته ويقول : ـ نعم يا أماه ...

تبتسم الأم بحنان وتقول : ـ

ـ حسناً يا صغيري ... استعذ با من الشيطان الرجيم ... وهيا قم لتصلي الصبح أولاً ... ثُم تعال لتتناول إفطارك ... لأن والدك سيأخذك في رحلة بالطائرة وتطير في السماء كما كُنت تتمنى .. فلقد ...



هنا صاح أرنوب بصوت مرتفع : ـ

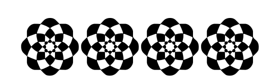
ـ لا أرجوكِ يا أمي ... لا أريد ...

تتعجب الأم من ولدها وهي تقول : ـ

ـ لماذا يا ولدي فلقد كنت تتمنى أن تطير في السماء بالأمس ... ؟!! ما الذي غير رأيك اليوم ... ؟!!

يتحدث أرنوب ودموعه تنسال علي خده ويدخل في أحضان والدته وهو يقول : ـ

ـ صدقيني يا أمي لم أكن أعلم النعيم الذي أنا فيه ... فالحمـد ... فبيتـي هـو أجمل مكان بهذا الكون ...



حقاً تعلمت الدرس

صرخ محمد بشدة متأوهاً عندما أراد طبيب الأسنان أن يتفحص أسـنانه؛ فابتسم الطبيب وربت علي ظهره وهو يقول له : ـ

ـ لا تخف يا عزيزي؛ سأضع لك المخدر ...

أمسك الطبيب بمحقنه؛ وحقن الصغير محمد حقنه قوية في فمه ... صاح من قوتها محمد ... ولكن الطبيب الماهر نزع الضرس المعطوب بسرعة ...

أمسك الطبيب الضرس ووضعه أمام محمد وهو يقول له : ـ ـ انظـر إلـى هـذا الضرس المعطوب ... لقد جنيت عليه ... لقد مات هذا الضرس بسبب إهمالك يـا صغيري ... لو أنك غسلت أسنانك بالفُرشاة والمعجون؛ أو السواك لما تسوس هـذا الضرس ولظل سليماً يؤدي عمله في فمك ...

نظرت الأم إلى صغيرها بتعجب؛ ولم تتكلم؛ وفي البيت جلس الصـغير محمد أمام والدته؛ وهو حزين؛ والقطن الطبي يملأ فمه ... وبالكاد تكلم وتحدث مع والدته بصعوبة بالغة قائلاً : ـ

ـ أعتذر يا أمي ... لقد أخطأت ...

نظرت الأم إلي صغيرها بغضب؛ وقالت له : ـ

ـ إنك لم تغسل أسنانك منذ فترة كما أخبرتك ... لقد كذبت علي ...

طأطأ الصغير رأسه وتكلم باعتذار بالغ قائلاً : ـ

ـ أعتذر يا أمي سامحيني ... سأغسل أسناني باستمرار بالفرشاة؛ والمعجـون ...
دخل محمد حجرته ونام علي سريره الوثير ... وساد الصمت برهة من الوقت ...
نظر الضرس الكبير إلي أصدقائة بغضب وهو يقول لهم : ـ أيرضيكم مـا فعلـه محمد بأخينا ... لقد تركه دون أن يغسله؛ وينظفه؛ ولهذا تسوس؛ واقتلعه الطبيب من مكانه؛ لقد مات صديقنا ... والسبب هو محمد؛ وأعتقد أننا من بعده ... يجـب أن ننجو بأنفسنا يا إخوان ... هيا بنا نترك محمداً؛ ونبتعد عنه؛ لأنـه لا يحترمنـا ...
خرجت الأسنان؛ والضروس من فم محمد وتركت فمه خاوياً؛ ولا يوجد به سـوى اللسان فقط ...
وفي صباح اليوم التالي استيقظ محمد؛ واكتشف هروب أسنانه؛ فقال في نفسه : ـ
ـ هكذا أفضل ... إنني الآن لن أنشغل بتنظيفهم؛ وغسلهم؛ إنها أشياء بلا فائدة ...
ارتفع صوت والدة محمد وهي تناديه كي يتناول طعام الإفطار ... ابتسم محمد وصاح بقوة : ـ حسناً يا أمي إنني قادم ...
جاس محمد علي السفرة؛ وأمسك الخُبز؛ وقطع منه قطعة صغيرة؛ وأخذ قطعة من الجبن ووضعها مع الخبز في فمه ... حاول مضغها؛ ولكنه لم يسـتطع؛ حـاول؛ وحاول؛ ولكنه لم يستطع ... استغرق فترة طويلة حتى مضغ لقُمة الطعام؛ وعندما ابتلعها أحس بصعوبة بالغة في البلع جعلته يسرع إلي أخذ كـوب مـن المـاء ... وشرب جرعة كبيرة من الماء؛ فتعجبت والدته حاول محمد إخفاء ما يحدث ولكنـه لم يستطع لأن والدته لاحظته وقالت له بهدوء : ـ

ـ لماذا لم تستطع مضغ الطعام يا محمد ...

تلعثم محمد وهو يقول : ـ يبدو أن مكان الضرس ما زال يؤلمني يا أمي ...

أخفى محمد مشاعره وذهب لمدرسته؛ ومر اليوم تلو الآخر؛ ومحمد لا يأكل شيئاً ..

فلاحظت الأم نحول ابنها فجلست بجواره؛ وقالت له : ـ ماذا حل بك يا بني ؟!

بكى محمد وهو يقول : ـ يا أمي لقد تركتني أسناني ... خافـت أن تمـوت هـي الأخرى فتركتني وحيدة ...

بكى محمد بحرقة علي فُراق أسنانه ... ونظر إلي والدته والدموع تمـلأ عينيـه؛ وقالت الأم بهدوء وهي تربت علي كتفيه : ـ

ـ هل ستغسل أسنانك كما أخبرتك بالفُرشاة؛ والمعجون؛ أو السواك ...

نظر محمد لوالدته؛ والدموع تترقرق من عينيه؛ وقال بهدوء : ـ

ـ وعد يا أُمي ... سأغسل أسناني بالفرشاة؛ والمعجون صباحاً ومساء ...

ابتسمت الأم؛ وهي تقول : ـ سأعطيك فرصة أخرى كي تحافظ علي أسـنانك ... هل اتفقنا ... ؟!!

ابتسم محمد وهو يقول : ـ نعم اتفقنا ...

ربتت الأم علي ظهر صغيرها وهي تقول له : ـ

ـ استيقظ يا محمد ... استيقظ يا محمد ...

فتح محمد عينيه على وجه أمه الجميل؛ ونظر إلى المكان الموجود فيه؛ وبحث عن أسنانه فوجد كل شيء موجود كما كان ... ابتسم محمد وهو يقول لوالدته : ـ



ـ هل كُنت أحلم يا أمي ؟!!

قالت الأم بابتسام : ـ نعم يا صغيري ...

قبّل محمد وجه أمه الصبوح؛ واحتضنها وهو يقول : ـ

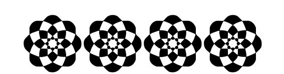
ـ الحمد ... أنتِ جميلة حقاً يا أمي ...

رفع محمد الغطاء من على نفسه؛ وجرى بسرعة ناحية الحمام ... سألته والدته بتعجب قائلة : ـ ماذا ستفعل يا محمد ... ؟!!

قال لها وهو يمسك بفُرشاة الأسنان : ـ سأنفذ وعدي لكي يـا أمـي ... سأغسـل أسناني كما أخبرتك مرة في المساء ومرة في الصباح ...

تعجبت الأم من كلام محمد فحدثت نفسها بصوت خافض وهي تقول : ـ

ـ متي أخبرني بهذا ...؟!! ... غريبة ...



عندما تعلم القلم

ألف ... باء ... تاء ...

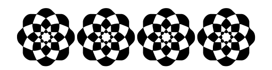
هذه الحروف الأولي التي تعلمها القلم ... ومازال يتعلم ... يكتب ليتعلم ويفهـم ...

نظر عن يمينه فوجد فلاحاً يحرث أرضه ... فكتب ... فلاح زارع ...

ونظر عن يساره فوجد أطفالاً يصعدون فوق شجر الزيتون يجنون ثماره ويلوحون بأغصانه ... فكتب ... أطفالٌ يحصدون ...

فنظر أمامه فوجد نساء يغزلن الصوف ... ويصنعن منه أجمل الملابس والأقمشة؛ فكتب ... نساء تغزل ...

ونظر خلفه فوجد دبابة تُحطم شجر الزيتون وتقتلع الزرع وتُدمر هنـا وهنـاك ... فكتب ... سفاح يقتل ...



الفيضان البغيض

ارتمي القرد ميمون على ظهره ونظر إلى أعلى وهو يقول بتعب بالغ : ـ

ـ آه أخيراً انتهيت ...

اقتربت الغزالة وهي تقول : ـ

ـ مرحباً بك يا ميمون كيف حالك ... ؟!

نظر إليها ميمون وهو مسرور ويقول : ـ

ـ مرحباً بكِ يا غزالة تعالى لتشاهدي ما صنعت ...

وأخذ بيدها وأشار إلى أعلى الشجرة فإذا بها تجد بيتاً جميلاً وصغيراً فوق قمة الشجرة؛ فنظرت إليه بتعجب وهى تقول : ـ لمن هذا البيت يا ميمون ... ؟!

فأشار إلى نفسه بافتخار قائلاً : ـ لي أنا ... لقد أعددته كي أسكن فيه حتى لا أتأثر بالفيضان؛ وهطول الأمطار ...

فتعجبت الغزالة وأشارت إلى النهر الكبير وهى تقول : ـ ولكن ميعـاد الفيضـان قريب؛ وكما ترى فهناك منطقة منخفضة في شاطئ النهر؛ ويجب أن نأخذ الحيطة؛ وإلا سيموت العديد من الحيوانات ...

أبعد ميمون وجهه عن وجه الغزالة بغضب وهـم بالانصـراف؛ إلا أن الغزالة نهرته بقوة قائلة : ـ لا تهرب من المسئولية يا ميمون فساعد إخوانك كـي لا يتأثر أحد ...

ابتعد ميمون عنها وبدأ في تسلق الشجرة وهو يقول : ـ لن أساعد أحـداً ... فلقـد اهتممت ببيتي ... وابتعدت به عن المخاطر ... وليس لي شأن ببـاقي الحيوانـات فليساعد كُل حيوان نفسه ...

صعد ميمون أعلى الشجرة ودخل بيته تاركاً الغزالة في حيرة من أمرها ... مشت الغزالة وهى غارقة في التفكير حتى قابلها الدب وسلّم عليها وهو يقول : ـ

ـ لماذا أنتِ حزينة هكذا أيتها الغزالة الحبيبة ... ؟!

نظرت الغزالة للدب بحزن بالغ ... وعيناها مملوءتان بالدموع وهي تقول : ـ

ـ لا أدرى لماذا تفعل الحيوانات هذا ... ؟! فالكل يهتم بحاله فقط ... ولا يهتمـون بالغابة بيتهم الكبير ...

نظرت الغزالة إلى المنخفض الكبير الموجود بجسر النهر وهي تقول : ـ

ـ إذا فاض النهر بالماء فستدخل المياه إلى الغابة من هذا المـنخفض؛ وسـيغرق العديد من الحيوانات مثل العام الماضي؛ ويجب أن نتحد سوياً لسد هذه المنطقة ...

ينظر الدب بتعجب إلي هذا المنخفض الذي لم يره من قبل؛ وفكر ملياً ثم قال : ـ

ـ ولكن كيف سنتمكن من سد هذا المنخفض ...

أشارت الغزالة إلي صخرة ضخمة فوق قمة الجبل البعيد وهي تقول : ـ

ـ لو تمكنت جموع الحيوانات من زحزحة هذه الصخرة لاستطعتنا سد هذه الفجوة؛ وتنجو الغابة من الغرق ...

ابتسم الدب وهو يقول : ـ أنتِ حقاً عبقرية يا غزالة؛ فهذه فكرة جيدة ولكـن هـل وافقت الحيوانات على ذلك ...

امتلأ وجه الغزالة بالحزن؛ وطأطأت رأسها وهي تقول : ـ بـالطبع لا ... فالكـل منتبه لنفسه؛ ولا يهتم بالغابة ...

يشير الدب إلى رأسه وهو يقول : ـ عندي فكرة جيدة ... ما رأيك بأن نطبع عدد كبير من الإعلانات ونلصقها على جذوع الأشجار ... وندعوا جمـوع الحيوانـات لتتناقش في هذا الأمر ...

وفى صباح اليوم التالي امتلأت جذوع أشجار الغابة بإعلانات مكتوب عليها : ـ

ـ هام جداً ... يجب أن نتحد كي نسد الفجوة الموجودة بشاطئ النهر حتى نتصدى للفيضان وإلا ستغرق الغابة ... وعلى من يرغب في الانضمام إلينا سنتقابل غـداً صباحاً في ساحة الغابة الكبيرة ...

وما إن التصقت الإعلانات حتى اقترب عدد كبير من الحيوانات لقـراءة الإعلان؛ فقال الأسد بزئيره المعتاد : ـ نعم يجب أن نتحد ونتصدى لهذا الفيضان؛ ففي العام الماضي مات عدد كبير من الحيوانات ...

تحدثت الزرافة بحزن وهى تقول : ـ نعم لقد مات عدد كبير مـن الـزراف فـي الفيضان؛ فلقد شلت المياه حركتهم وقضت عليهم حتى إنني كدت أن أموت لولا أن شاء ا أن أنجو وتشبثت بشجرة مرتفعة ... لذا يجب أن نتصدى لهذا الفيضان ...

تشاورت جموع الحيوانات في ذلك الأمر؛ واهتمت بأمر الفيضان؛ والكل أصر علي التصدي له؛ وفى صباح اليوم التالي وقفت الغزالة؛ والدب في انتظـار الحيوانات في ساحة الغابة الكبيرة؛ ومرت الساعة تلو الأخرى؛ ولم يحضر أحـد؛ وفى مقدمتهم الغزالة والدب والأسد وصاحت الغزالة بصوت مرتفع وهى تقول : ـ

ـ هيا إلى العمل يا إخوان ...

ومشى الجميع وصعدوا لقمة الجبل ووقفوا أمام صخرة ضخمة فنظـروا إليها بتعجب؛ وقال أحدهم : ـ ياه؛ إن هذه الصخرة كبيرة جداً؛ فكيف سنُحركها ؟!

ساد الصمت فيهم جميعاً ... وقال الدب بصوت مرتفع : ـ

ـ ماذا حلّ بكم ... هيا أتحدوا معاً ... وادفعوا هـذه الصـخرة بقـوة وسـتنزلق الصخرة من مكانها إلى الفجوة مباشرةً ...

اقترب الجميع من الصخرة ... ودفعوها بكـل قـوة ... إلا أنهـم لـم يستطيعوا زحزحتها ... فاقترب القرد منهم وقال بصوت مرتفع : ـ ـ حسـناً يـا إخوان ... هل لي أن أساعدكم ...

نظرت جموع الحيوانات إليه بتعجب ... فقالت الغزالة : ـ

ـ أخيراً قررت أن تُساعدنا أيها القرد ... أخيراً تأكدت أن الغابة هي بيتك الكبير.

هنا طأطأ القرد رأسه وشعر بخجل كبير؛ وقال بصوت منخفض : ـ

ـ أرجوا أن تسامحوني ... لقد اهتممت بنفسي فقط ... ولكن أعطـوني فرصـة أخيرة كي أساعدكم ...

هنا ضحك الأسد بسخرية وهو يقول : ـ أنت ستُساعدنا ... أيها الضعيف ... هل ستنجح أنت فيما فشلنا نحن فيه ...

ابتسم القرد بهدوء وهو يقول : ـ أنا من حيث القوة أضعفكم ... ولكـن بالنسـبة لمعارفي الكثيرة فإنني قرأت العديد من الكُتب التي جعلت عقلي ينمو وأصبح لـي فكراً خاصاً مثل باقي العلماء ...

سخرت جموع الحيوانات من كلام القرد؛ وقال الأسد بسخرية وهو يضحك : ـ

ـ حسناً ... اقترب أيها العالم لتُنقذ الغابة من الغرق ...

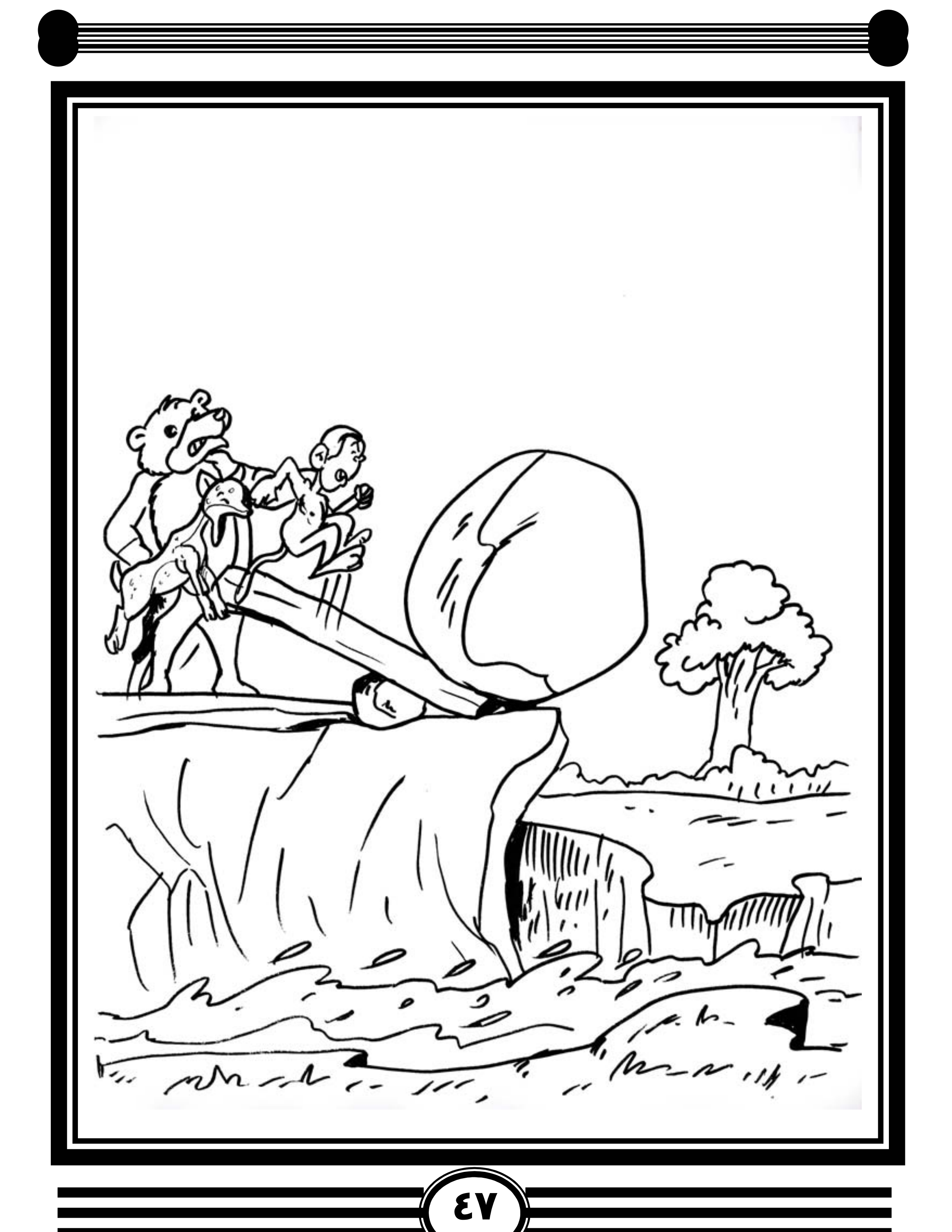
تحدث القرد بهدوء قائلاً : ـ إنني لا أستطيع أن أنقذ الغابـة بمفـردي ... ولكـن بمساعدتكم سنُنقذها جميعاً ...

هنا سكت الجميع وشعروا باحترام عجيب لعقل القرد الذي تحدث بذكاء ... فقـال الأسد : ـ حسناً يا صديقي ... ماذا تُريد منا أن نفعل ...

تحدث القرد بسرعة قائلاً : ـ أريد جزع شجرة كبير ...

ونظرت جموع الحيوانات حولها للبحث عن جزع شجرة كبيـر ... فوجـدوه دون عناء ... فقال الأسد : ـ حسناً ... بضع دقائق وسيكون أمامك جزع شجرة كبير؛ فسنذهب لقطعها الآن ...

وفى دقائق معدودة استقر جزع شجرة كبير أمام القرد؛ وهنا تحدث الأسـد بهـدوء قائلاً : ـ ها قد أحضرنا جزع الشجرة الذي طلبت؛ ماذا ستفعل به ... ؟!



تحدث القرد وهو يشير لصخرة صغيرة قائلاً : ـ هذه الصخرة ستفي بالغرض ... رفع القرد الصخرة الصغيرة ووضعها أمـام الصـخرة الكبيـرة التـي يريـدون زحزحتها؛ ثم قال : ـ حسناً ضعوا جزع الشجرة فـوق الصـخرة الصـغيرة ... وطرفه أسفل الصخرة الكبيرة ...

فحملت الحيوانات جزع الشجرة ووضعته على الصـخرة الصـغيرة ... وثبتت طرفه أسفل الصخرة الكبيرة فبدا أشبه بالأرجوحة ... فقال القرد : ـ

ـ والآن اضغطوا معي على طرف جزع الشجرة المرتفع ... فإننا صـنعنا عتلـة كبيرة تكفى لزحزحة الصخرة الكبيرة ... هنا تعجبت جموع الحيوانات ... وأشـار الأسد إلى جزع الشجرة وهو يقول : ـ حسناً سنُنفذ ما تقول ...

فتمسكت جموع الحيوانات بجزع الشجرة المرتفع بكل قوة ... وبالفعـل استطاعوا زحزحت الصخرة وانزلقت بصوت فظيع من فوق قمة الجبل ...

هنا صاحت جموع الحيوانات فرحة ... وهم يشيرون إلى الصخرة التـي عبـرت الطريق بسرعة واستقرت فوق الفجوة التي بشاطئ النهر ... فصاحت الحيوانـات من الفرحة ... وبعد عدة أيام وفى يومٍ ممطر ... والأمواج مرتفعة بالنهر ... يقف القرد ميمون في نافذة منزله فوق قمة الشجرة وهو سعيد جداً وينظر إلـى النهـر الثائر ويقول بهدوء : ـ الحمد ... أخيراً وبعد جهدٍ كبير خلصـنا الغابـة مـن الفيضان البغيض ...

الأب الغائب

أبي ... أبي .. أبي ...

هكذا دوى صراخ شادي في منتصف الليل موقظاً والدته وأخاه الصغير محمد من النوم ... فإنه أول يوم ينامه بدون والده ... وبدأ شادي حديثه قائلاً : ـ

ـ لماذا تأخر أبي عن موعده يا أمي ... ؟! إنه دائماً ما يحتضنني ويضمني إلى صدره حتى يداعبني النوم ... لماذا تأخر اليوم ... ؟! فلقد اشتقت إليه ... !!

انفلتت دمعة من عين الأم وهي تحتضن صغيرها قائلة : ـ

ـ إنه اليوم الذي اشتاق إليه والدك يا شادي ... إنه الآن مع إخوانه في جنة الخُلد؛ إنه مع الشُهداء يا ولدي ...

تساءل شادي بعين البراءة قائلاً : ـ هل أبي شهيد يا أمي ... ؟!

تُجيبه الأم وهي تمسح دمعها قائلة : ـ نعم يا ولدي ...

شادي : ـ

ـ كيف أكون مثله يا أمي ... ؟!

ضمت الأم ابنها قائلة : ـ إننا جميعاً نرجو الشهادة يا صغيري ... ولكن الله لا يعطي الشهادة إلا لأحبائه فقط ...

واحتضنت الأم صغيريها شادي ومحمد بشدة إلي صدرها ...

وفجأة دوي الانفجار ...

شجرة زيتون تتألم

آه ... ما أجمل الهواء العليل ... هكذا بدأت شجرة الزيتون يومها ... واستنشـقت نسمة هواء أخري وهي تقول : ـ إنه اليوم الذي أنتظره منذ عامٍ كامل ... إنه يوم الحصاد، فأخيراً سيحصد الناس ثمراتي ويسـتفيدون مـن زيتـي ... وسـتحمل الحمامات أغصاني ... فإنه اليوم الذي اشتقت إليه كثيراً لأري أغصاني الخضـراء تُحلق في السماء في فم الحمامات البيضاء ...

وساد الصمت برهة ... وظهر من بعيد سرب من الحمـام الأبـيض الجميـل ... واقترب ببطء من شجرة الزيتون التي استعدت لتتقبل صديقاتها بأجمـل عبـارات الترحيب والتهليل ... ولكن فجأة، ابتعدت الحمامات فزعة، فتعجبت شجرة الزيتون قائلة : ـ لماذا لا تقترب صديقاتها منها ... لماذا تفر هكذا ...

نظرت شجرة الزيتون إلي نفسها وهي تقول : ـ

ـ قد تكون أغصاني قصيرة عما قبل ...

فرفعت أغصانها كي تصل إلي سرب الحمام ولكنهن ابتعدن عنها ... وبدأ سـرب الحمام يغيب عن الأنظار ... وصدر صوت مدو أطلقته احدي الجرافات الغريبـة التي اقتلعت في طريقها عدداً كبيراً من البيوت والحدائق والأشجار ... وفي لحظات تناثر الزيتون من فوق الشجرة، وسال الزيت منه متـدفقاً لـيملأ تُـراب الحقـول العطشى وهو يقول صارخاً : ـ لماذا ... ؟!!!

الذهب الأصفر

هوى الفأس بقوة على جدران المنجم القديم فتطاير منه بعض الشرر ... تبعه ظهور ضوء أصفر باهت تسلل من جدران الحائط الكئيب؛ فتبسـم سـعدون البخيل بخُبث ودهاء؛ وهو يقول : ـ

ـ أخيراً قد أثمرت جهودي بشيء ذى قيمة .. أخيراً أصبح هذا المنجم ذا قيمة ...

لملم سعدون البخيل حاجياته؛ وهم بالرحيل؛ وما إن خـرج مـن بـاب المنجم؛ وابتعد عنه قليلاً؛ حتى لمح جاره حمدان صاحب المنجم يقترب من بعيـد؛ فقال سعدون في نفسه : ـ نعم ... فُرصة سأعرض عليه أن أشـتري منـه هـذا المنجم ... إنني أعلم أنهم منذ فترة طويلة لم يستخرجوا منه أي شيء ... كما إنني أعرف أنه محتاج للمال ليعطي العمال أجورهم ... فهذه فُرصـتي ... ويجـب أن أمنعه من دخول المنجم حتى لا يكتشف أمر الذهب الذي وجدته؛ فيجب أن أشتري منه المنجم الآن؛ وبأي سعر ... إنها فُرصة العمر ... سأُصبح من أغنـى أغنيـاء المدينة ... يا فرحتي ... ها .. ها ... ها ...

نظر سعدون البخيل إلي حمدان؛ فناداه بصوت مرتفع : ـ

ـ حمدان ... حمدان ... يا حمدان ...

نظر العامل الفقير حمدان إلى مصدر الصوت فإذ به جاره سعدون البخيل ... فتكلم حمدان بسعادة قائلاً : ـ

ـ كيف حالك يا سعدون ... ؟!! ... هل تحتاجني في شيء ... ؟!

نظر سعدون إلى حمدان بخُبث ودهاء وهو يقول : ـ

ـ علمت أن منجمك القديم قد ابتعد عنه جميع العمال لأنـك عجـزت عـن دفـع أجورهم ... كما إنك منذ فترة طويلة لم تستخرج منه أي شيء ... إنني أريـد أن أوفر عليك هذا العناء واشترى هذا المنجم العتيق ...

نظر حمدان بتعجب إلي جاره سعدون البخيل؛ وهو يقول : ـ ولكنك تعلم أنه منجم عتيق؛ ولا يوجد به أي ذهب ... إذاً لماذا تُريد أن تشتريه ... ؟!!

ابتسم سعدون البخيل بخُبث؛ وهو يقول : ـ أنت جاري يا حمـدان ... ويجـب أن أقف بجانبك وقت محنتك ...

تعجب حمدان وهو ينظر لجاره سعدون؛ وهو يقول : ـ إنني جارك منذ أكثر مـن عشر سنوات؛ ولم تقم بمثل هذا الأمر ولو حتى مرة واحدة طوال هـذه السـنوات الطويلة ... ما سبب هذا التغيير ... ؟!

تلعثم سعدون قليلاً وهو يقول : ـ إنني لم أكن أعلم أنك فـي مـأزق ... وعنـدما علمت تقدمت على الفور ... والآن هيا تعالى معي كي أعطيك نقودك؛ ونكتب صك الملكية ... وأشتري هذا المنجم ... وتغتني أنت؛ وأنا أفعل بهذا المنجم ما أفعل فلا تشغل بالك أنت ... هيا بنا يا رجل ... هيا بنا ...

اتجه سعدون البخيل؛ وهو متأبط حمدان الذي شعر بأنه يحلم ... فـأخيراً وبعد كُل هذه السنوات ستتغير أحواله؛ ويسدد ديونه؛ ويعـيش حيـاة هادئـة هـو وزوجته وأولاده ... هنا نظر حمدان إلى السماء؛ وقال في نفسه محدثاً خالقه : ـ

ـ الحمد ... الحمد علي نعمك الكثيرة علي يا ا ...

وما هي إلا لحظات قليلة حتى وقّع حمدان صك الملكية؛ وأخذ أموال بيع المـنجم؛ وتوجه لزوجته وأولاده وهو في قمة السعادة ... أما سعدون فلم ينتظر الصباح ... بل أمسك بمصباح عتيق؛ وفأس؛ وجاروف؛ وتوجه إلى المنجم ليستكمل عمله ...

وفى صباح اليوم التالي يجلس سعدون من كثرة التعب وبجواره عـدد كبيـر مـن الأجولة المملوءة؛ ويحدث نفسه قائلاً : ـ

ـ لقد امتلأت الأجولة بتبر الذهب ... سآخذهم لأبيعهم عند الصائغ ... أعتقد بـان جوال واحد من هذا الذهب يساوى أضعاف ما دفعته لحمدان ... يا له مـن أحمـق ... سأبيع هذه الأجولة وسأصبح أغنى من في المدينة ... وسأظل أستخرج الـذهب حتى أُصبح أغنى رجل في العالم؛ سأشترى القصور؛ والمناجم؛ ولن يتحدث الناس إلا عن الغنى الذي أنا به ... ها ... ها ... ها ...

يحمل سعدون أحد الأجولة ويضعه على عربته العتيقة التي يجرها حماران هرمان؛ وبعد عناء شاق وقف سعدون أمام عربته العتيقة المملوءة بالأجولة وأمسـك بيـده غطاء قديم وضعه على الأجولة كي يخفي مشهد هذه الأجولة عن العيون حتـى لا يطمع به الطامعون؛ وما كاد أن ينتهي حتى اقترب منه حمدان؛ وهو يقول له : ـ

ـ كيف حالك يا جاري العزيز ... ؟!!

اضطرب سعدون عندما شاهد حمدان؛ وزوجته وأولاده يقفون خلفه؛ فظن أنهم رأوا الأجولة وما بها؛ فغطي الجزء المتبقي بالغطاء بسرعة غير عادية؛ وابتسم لحمدان ابتسامة صفراء وهو يقول : ـ

ـ كيف حالك أنت يا جاري العزيز ؟! ... لماذا أنت مبكر هكذا ؟! ... أين تـذهب أنت والزوجة والأولاد ؟!

ابتسم حمدان؛ وهو يربت على كتف سعدون وهو يقول : ـ

ـ الحمد لله لقد أعطيت العمال باقي أجورهم؛ ولم يعد لي شيء في هذه البلدة بعدما بعت لك المنجم ... لذا سأذهب إلي بلد بعيدة أخبرني عنهـا صـديق لـي وأقـوم بالتجارة هناك وأبدأ حياتي من جديد ... ولكنني قبل أن أسافر أردت أن أودعـك؛ فأنت حقاً جار طيب وسأفتقدك كثيراً ...

ابتسم سعدون ابتسامة مصطنعة لحمدان؛ وسلم عليه؛ واحتضنه؛ وهو يودعه؛ ولكن سعدون هدأت نفسه؛ وارتاحت لأنه كان يخشى أن يسترجع حمدان منجمه؛ وبأنـه علم بأمر الأجولة التي على العربة ... هنا قال سعدون لحمدان : ـ

ـ سأفتقدك كثيراً يا حمدان ... ولكن في السفر سبع فوائد ... فسافر بسـلامة ا وابحث عن بلد يكون أهلها طيبين واستقر أنت وأهلك بها وابدأ حياة جديدة ... مـع السلامة يا صديقي ... مع السلامة ...

سلم حمدان على سعدون وودعه؛ ومشى هو وزوجته وأولاده إلي مينـاء المدينـة ليستقلوا السفينة التي ستذهب بهم إلي البلاد البعيدة التي سيستقران بها؛ أما سـعدون فقاد عربته؛ وهو في قمة السعادة؛ وذهب بها إلى محـل الصـائغ؛ وحمـل أحـد الأجولة؛ واقترب به من باب المحل؛ وهو يحدث نفسه قائلاً : ـ

ـ الآن سأصبح أغنى الأغنياء ... وسأكون من أغنى التجار ...

وضع سعدون الجوال الكبير أمام الصائغ الذي نظر إلية باستغراب؛ وهو يقول : ـ

ـ من أنت ... وما هذا الجوال الكبير ؟!!

ابتسم سعدون؛ وهو يشير إلى الجوال الكبير الذي وضعه أمام الصائغ ويقول : ـ

ـ إنني اشتريت منجم حمدان ... وبعد البحث والتنقيب اكتشفت الكثير والكثير من الذهب ... أو بالأصح إنه تبر الذهب ... أي تراب الذهب ... هذه أول عينة أريدك أن تشاهدها؛ كما إنني أريد أعلى سعر فيه فإنني علمت أن الذهب ارتفع ثمنه هـذه الأيام ...

انفرجت أسارير الصائغ؛ ورحب بسعدون بحرارة؛ وأجلسه على أريكة قريبة منـه وهو يقول : ـ

ـ تفضل يا سيدي ... تفضل ... أنت حقاً محظوظ ... فحمدان تعب كثيراً في ذلك المنجم ولكن دون جدوي ...

انتفخ صدر سعدون وهو يتفاخر بنفسه قائلاً : ـ

ـ نعم ... إن حمدان كان ينقصه الخبرة في مثل تلك الأمور ... أما أنا فلدى خبرة واسعة في أمور المناجم والتعدين ... كما إنني اســتخدمت أحــدث الطــرق فــي استخراج الذهب ...

ابتسم الصائغ وهو يفتح الجوال وهو يقول : ـ إنني مستعد أن أشتري كــل إنتــاج المنجم من تبر الذهب أو من الذهببببب .... ما هذا ... ؟!

تغيرت ملامح الصائغ؛ ونظر إلي سعدون باستغراب وهو يقول : ـ

ـ أهذا هو الذهب الذي وجدته بالمنجم ... ؟!

اعتدل سعدون في جلسته؛ ونظر إلي الصائغ بقلق؛ وهو يقول : ـ

ـ نعم ... ماذا حدث ؟!

ضحك الصائغ؛ وهو يقول : ـ ألست خبيراً انظر إليه مرة أخرى ...

نظر سعدون إلى ما بداخل الجوال؛ ونظر إلي الصائغ؛ وهو يقول : ـ

ـ إنه الذهب ليس إلا ...

أمسك الصائغ بحفنة مما بالجوال وقربها من عين سعدون؛ وهو يقول : ـ

ـ يا سيدي هذا ليس ذهباً ... ولكنه كبريت ... فمادة الكبريــت صــفراء اللــون وقريبة من لون تبر الذهب ... وقد ينخدع فيها الإنسان؛ ولكن هذه مهنتي وأنا خبير في مثل تلك الأمور ...

وقف سعدون علي الفور بعدما تأكد من الصائغ بأن ما بالأجولــة لــيس ذهباً؛ وركب العربة؛ واتجه إلي ميناء المدينة كي يلحق بحمدان ليســترد أموالــه؛

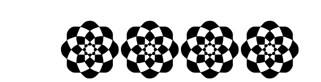
ولكنه ما إن اقترب من الميناء حتى وجد أن السفينة أصبحت في عرض البحر ... فقفز من العربة؛ ورمى بنفسه في الماء ليلحق بها؛ ولكنه كاد أن يغـرق لأنـه لا يستطيع السباحة وأخرجه أحد المارة بصعوبة من الماء ...

وبعد عدة أيام استيقظ الناس علي صوت سعدون؛ وهو يهذي في شوارع القريـة؛ ويحمل في يده جوالاً من الكبريت؛ وهو يصيح ويقول : ـ

ـ انتبهوا أيها الناس ... هذا ليس ذهباً؛ ولكنه كبريت ... إنه كبريت ... إنه لـيس ذهباً ... ولكنه كبريت ... أنا شاهبندر تجار الكبريـت ... أنفقـت نقـودي علـي الكبريت ... أما الذهب فلقد سافر مع حمدان في السفينة ...

تعجب الناس من حال سعدون فلقد جن تماماً؛ وكان من بين المارة الذين شاهدوا ما حدث لسعدون الصائغ الذي أخبره بأمر الكبريت؛ فقال في نفسه : ـ

ـ لا حول ولا قوة إلا با ... لقد جن الرجل ... حقاً صدق من أسمى الكبريـت بذهب الأغبياء ...



الكابوس الحزين

ـ الحمد   ... لقد انتهيت ...

قالها البلبل الصغير وهو ينام علي عشه الوثير الذي بناه تواً ... نام البلبل لأول مرة بأمان ... فهذا أول يوم يكون له بيت خاص به ... فنام ملء عينيه ...

تنبه البلبل الصغير على مداعبة شعاع الشمس لوجهه الصغير ... ففـتح عينيه وابتسم للصباح الجميل الذي أصبحت الغابة عليه ... فتنسم نسيم الصباح وهم ليذهب لجاب رزقه؛ وملء معدته الخاوية ...

وكعادته مع ربه دائماً وجد رزقه هنا وهناك؛ وامتلأ بطنه بالخير؛ ونـام الجوع في بطنه بسلام ... وبعد كل هذا الطعام الشهي غرد شُكراً وإجلالاً ؛ وملأ أرجاء الغابة بغنائه الجميل ... وهنا رجع البلبل إلى بيته الجديد ونـام فيـه مـلء عينيه؛ ولكن مع شروق الشمس أيقظه صوت قبيح وهو يقول : ـ

ـ أنت استيقظ ... ماذا تفعل في عشي ...

تنبه البلبل علي هذا الصوت؛ وفتح عينيه الصغيرتين ليجد غُراباً أسود اللون يتحدث بخشونة وغلاظة قائلاً : ـ كيف تنام في عشي ... ؟!

نظر البلبل الصغير إليه بابتسام قائلاً : ـ

ـ سيدي إنه عشي أنا ... بنيته قشة قشة ... ودعمته بالعصي والحجارة حتى صار جميلاً ومتيناً هكذا ...



ضرب الغراب رأس البلبل بجناحه الضخم وهو يقول : ـ

ـ هذا ليس عشك ... هذا عشي أنا ... هيا اخرج منه ...

اغتاظ البلبل من حر الضربة وصرخ في وجه الغراب قائلاً : ـ

ـ اخرج أنت أيها الكريه ... هذا ليس عشك ... وكيف لمثلك أن يكون له عش ... فأنت لص حقير يسرق كل ما حوله؛ فأنت كالورم السرطاني يجب أن تُستأصل ...

اغتاظ الغُراب الضخم ولوح بجناحه الكبير فاقترب منه عدد من الغربـان السود وقال بصوت مرتفع : ـ

ـ ستخرج من العش وإلا مزقتك تلك الغربان بمناقيرها الحادة ... ؟!

تشبث البلبل الصغير بأرضية عشه وهو يقول : ـ

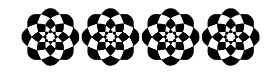
ـ لن أخرج من عشي إلا علي جثتي ...

هنا تطاير الشرر من أعين الغربان السود واقتربوا جميعاً كي يضربوه ...

تنبه البلبل الصغير على شُعاع الشمس واستيقظ من نومه وأفاق ولم يجد الغربان من حوله فقال : ـ الحمد لقد كان كابوساً مزعجاً ...

وهم البلبل بالطيران ليبحث عن رزقه ... ولكنه فوجئ بعدد مـن الجنـود تقتـل الصغار؛ وتُخرب الديار؛ وتقتلع الأشجار ...

فبكي بحرقة وهو يقول : ـ آه ... أمازال الكابوس الحزين مستمراً ...



الفراشة الحائرة

تمايلت الفراشة بدلال مع نسمة الهواء العليل التي أتت فجأة لتُطفئ وهـج الشمس الشديد؛ فوقفت تحت ظلال أشجار الزيتون الوارفة؛ وتبسمت وهي تقول :ـ

ـ آه .. ما أجمل الربيع ... فالخُضرة في كُل مكان ... ولكن الجو حار هذا اليوم؛ لكن ليس مهماً ... فالمهم أن أتمتع برحيق الأزهار ... وأتنسم شذاها ...

اقتربت الفراشة من أزهار شجر البرتقال واستنشقت عبيرها ... ورفرفت بجناحيها واقتربت ببطء لتتذوق طعمها الحلو اللذيذ المذاق ...

رشفت رشفة ... ثم أخري ... وتلتها بثالثة حتى امتلأت جنباتهـا مـن عسل الأزهار الممتع ... رمقت من بعيد زهرة حمراء زاهية ... فنظـرت إليهـا وكأنها تُناديها ... فطارت إليها ... ووقفت بالقُرب منها .. ففتحت الزهرة أوراقهـا وكأنها تطلب منها الدخول ... فدخلت الفراشة في الـوردة الحمـراء التـي بـدت كالياقوتة المتلألئة في جو من العبير والسرور ... فتنسمت الفراشة عبير الزهـرة الجميل ... وفجأة ... اقتربت يد رقيقة من الزهرة الجميلة واقتطفتها من مكانها ... ثم جاء صوت من بعيد يقول : ـ أحمد ... أحمد ... تعال إلي هنا ...

قذف أحمد بالوردة علي الأرض، ثم انطلق يلبي نداء والدته ... فخرجت الفراشـة من الوردة المقطوفة بصعوبة ... ونظرت إليها متعجبة، ثم ذرفت من عينيها دمعة؛ وطارت وهي تتساءل ... لماذا ... ؟!

صُناع الحضارة .. وصانعي التاريخ

أغلق أحمد كتاب الإنجليزي الذي بيده؛ وانحنى انحناءة عدم رضى انزعج لها والده الذي قال له بحنان وهو يربت على ظهره : ـ

ـ ماذا حدث يا أحمد ... ؟! لماذا أنت حزين هكذا ... ؟!

نظر أحمد إلى والده وهو يمد له كتاباً إنجليزياً قد استعارة من المكتبة وهو يقول : ـ إنني في غاية الحزن والأسى يا أبى ... ؟!

تعجب الأب من حديث ولده فقال له باستغراب : ـ لماذا هذا الحزن يا بنى ... ؟!

أشار أحمد إلى الكتاب الموجود بين يديه وهو يقول : ـ إن هذا الكتاب يتحدث عن علماء الغرب وعن إنجازاتهم الرائعة، إنها إنجازات رائعة حقاً يا أبي، فكم تمنيت أن يكون أي عالم من علماء العرب في مثل علمهم ...

جلس الأب على كُرسي مقابل لولده الصغير وهو يقول : ـ يا للغرابة، إنني بالأمس قرأت كتاباً أجنبياً قد كتبه أحد العلماء المعاصرين الشرفاء وجدت فيه عكس ما جاء بالكتاب الموجود معك يا صغيري ... فهو يتحدث عن فضل علماء العرب على الحضارة الغربية ...

هنا تعجب أحمد واعتدل في جلسته؛ ونظر لوالده وهو يكاد لا يصدق ما يقوله الأب ... ولكن الأب استكمل حديثه قائلاً : ـ أتريدني أن أذكر لك بعض إنجازات علماء المسلمين كي تتأكد من أنهم أساس الحضارة ...

تحدث الصغير بسرعة قائلاً : ـ بالطبع يا أبي تفضل ...

ابتسم الأب وهو يقول : ـ حسناً يا صـغيري ... فـي القـرن التاسـع الميلادي وبالتحديد عام ٨٠٧ م أرسل الخليفة العباسي هارون الرشيد هدية عجيبـة إلى صديقه شارلمان ملك الفرنجة ... وكانت الهدية عبارة عـن سـاعة ضـخمة بارتفاع حائط الغرفة تتحرك بواسطة قوة الماء؛ وعند تمام كُل ساعة يسـقط منهـا عدد معين من الكُرات المعدنية بعضها في إثر بعض؛ بعدد الساعات التي انقضـت فوق قاعدة نحاسية ضخمة فينتج عن هذا الارتطام رنين موسيقى يسمع دويـه فـي أنحاء القصر ... وفى نفس الوقت يفتح باب من الأبواب الاثنى عشر المؤدية إلـى داخل الساعة ويخرج منها فارس يدور حول الساعة ثُم يعود حيث خرج، فإذا حانت الساعة الثانية عشرة يخرج من الأبواب اثنا عشر فارساً مرة واحدة، ويدورون دورة كاملة ثم يعودون فيدخلون من الأبواب فتُغلق خلفهم، وكان هذا هو الوصف الـذي جاء في المراجع الأجنبية والعربية عن تلك الساعة التي كانت تُعد وقتئذ أعجوبـة الفن العربي الحديث ...

ذُهل أحمد مما سمع فابتسم ابتسامة رضا وهو يقول : ـ إن هذه السـاعة لعجيبة حقاً يا أبي ... حتى إنني لو رأيتها في وقتنا الحالي لتعجبت منها ...

ابتسم الأب وهو يقول : ـ بالطبع إنها شيء في غاية الدقة والروعة .. حتى إنـه من غرابتها جعلت الفزع يدخل في قلوب ساكنى القصر وبخاصة الرهبـان الـذين

اعتقدوا أنه في داخلها شيطان يحركها ... فتربصوا بها ليلاً، وأحضروا السـيوف والبلاط وانهالوا عليها تحطيماً ... إلا أنهم لم يجدوا بداخلها شيئاً ...

ضحك أحمد بسعادة من غرابة ما قاله والده الذي استرسل في حديثه قائلاً : ـ

ـ وتواصل مراجع التاريخ الرواية ... فتقول إن العرب قد وصلوا في تطوير هذا النوع من آلات قياس الزمن بحيث أنه في عهد الخليفة المأمون أهدى إلـى ملـك فرنساً ساعة أكثر تطوراً من الساعة السابقة، حيث إن ساعته هـذه تُـدار بـالقوة الميكانيكية بواسطة أثقال حديدية معلقة في سلاسل ... وذلك بدلاً من القوة المائيـة؛ ومن هذه القصة نرى مدى تطور المسلمين في علوم الميكانيكا أو ما كانوا يسمونه علم الحيل الهندسية في حين كانت أوربا في عصر الظُلمات ... ومن أشهر علمـاء المسلمين في علم الحيل أولاد موسى بن شاكر ... وهم محمد وحمد والحسن، وقـد ألفوا كتاب أسموه "الحيل النافعة" وكتاب القرطسون ...

تعجب أحمد عند سماعه تلك الكلمة فحدث والده باستغراب بالغ قائلاً : ـ وما هـو القرطسون هذا يا أبى ... ؟!

أجابه الأب قائلاً : ـ القرطسون هو الميزان الحساس الـذي يقـيس الـذهب يـا صغيري، وتجد من براعة هؤلاء العلماء أنهم ألفوا كتاب وصف "الآلة التي تُزمـر بنفسها" ومن اختراعاتهم التي وصفها المؤرخون بكثير من الإعجاب آلة رصد فلكي ضخمة تعمل في مرصدهم وتُدار بقوة دفع مائية وهى تُبين كُل النجوم في السـماء

وتعكسها على مرآة كبيرة ... وإذا ظهر نجم رصد في الآلة؛ وإذا اختفى نجـم أو شهاب رصد في الحال وسجل، وقد اخترع أحمد بن موسى قنديلاً آلياً يشعل الضوء لنفسه وترتفع فيه الفتيلة تلقائياً ... كما يصب الزيت بنفسه؛ وأيضاً لا يمكن للرياح إطفاءه ... ومن هؤلاء العلماء ابن يونس المصري الذي توفي عام ١٠٠٩م ويذكر عنه أنه أول من اخترع رقاص الساعة واكتشف قوانين ذبذبته وذلك قبل الإيطـالي جاليليو بستة قرون؛ كما يعتبر العالم والمهندس بديع الزمان الجزرى المتوفى عـام ١١٨٤م شيخ علماء المسلمين في علم الحيل، وقد ألف كتاب" الحيل الجـامع بـين العلم والعمل" ويسمى في أوربا (الحيل الهندسية) وهو مـن أدق الكُتـب وصـفاً وشرحاً وتفصيلاً ومحلى بلوحات ملونة فيها وصف لآلاته واختراعاته وما زالـت بضعة نسخ أصلية من هذه الكُتب موجودة في متاحف أوروبـا حيـث يحفظونهـا ويقدرونها ويعتبرونها أثراً ثميناً لا يمكن التفريط فيه ... وقد تُرجم هذا الكتاب إلى جميع اللغات الأوربية عدة مرات وكان قاعدة لعلم الميكانيكا الحديثة ...

نظر الأب لصغيره قائلاً : ـ أتعلم يا أحمد أن الجزرى هو أول من اخترع الإنسان الآلي المتحرك ... ؟!

اتسعت عين أحمد من الاستغراب فحدث والده وهو مذهول قـائلاً : ـ ـ اختـرع الإنسان الآلي ... إن الإنسان الآلي حديث جداً يا أبى ... واليابانيون هم أكثر تقدماً في هذا المجال؛ فكيف يكون الجزرى هو أول من اخترعه ... ؟!



يبتسم الأب وهو يقول : ـ إن الجزرى كان من عباقرة عصره؛ وظهرت عبقريته عندما طلب منه الخليفة أن يصنع آلة تُغنيه عن الخدم تصب عليه الماء كُلما رغب في الوضوء، فصنع له آلة على هيئة غُلام منتصب القامة وفى يده إبريق ماء وفى اليد الأخرى مِنشفة وعلى عمامته يقف طائر ... فإذا حان وقت الصلاة تجد الطائر يغرد؛ ثُم يبدأ الغلام بصب الماء من الإبريق؛ وفي النهاية يقدم له المنشفة ثم يعـود إلى مكانه والعصفور ما يزال يغرد ...

يتحدث أحمد بانبهار قائلاً : ـ يا إلهي إنه شيء خيالي ...

يستكمل الأب حديثه قائلاً : ـ أتدري يا أحمد أن البعض يتصور أن العرب رغـم ولعهم الشديد بالميكانيكا أو علم الحيل فإنهم لم يطبقوه في أمور علمية نافعـة كمـا طبقته أوربا في الاختراعات العصرية الحديثة كالقطارات، والسيارات، والطائرات، ولكن هذا مخالف للواقع يا صغيري وينم عن قصور في الدراسة والبحث، لأن مـا تركه المسلمون والذي لا تزال آثاره موجودة حتى وقتنا الحاضر يعتبر أبلغ شـاهد على تطور هذا العلم وتطبيقاته المتعددة؛ ويعتبر المعمار المجال الواسع لتطبيق علم الميكانيكا في عصور الإسلام المختلفة، فنظرة واحدة إلى آثار العمـارة الإسـلامية الموجودة حتى عصرنا الحاضر في شرق العالم وغربه وما فيها من تطبيقات علمية متطورة وما أنجزه علماء المسلمين من القباب والمآذن والسدود والقنـوات يؤكـد براعتهم وتميزهم، فلقد برع المسلمون في تشييد القباب الضـخمة ونجحـوا فـي

حساباتها المعقدة التي تقوم على ما يسمي في وقتنا الحاضر بطرق تحليل الإنشاءات القشرية ... ومن القباب العجيبة والغريبة قبة الصخرة في بيـت المقـدس وقبـاب مساجد الأستانة والقاهرة والأندلس والتي تختلف اختلافاً جذرياً عن القباب الرومانية الهزيلة ... فكل هذا يدل على تمكنهم من العلم الذي يقوم على الرياضيات المعقـدة وإنشاء المآذن الطويلة والتي يعلو بعضها أكثر من سبعين متراً فوق سطح المسجد، والتي تختلف اختلافاً جذرياً ومتطوراً عن المنارات الرومانيـة، وإنشـاء السـدود الضخمة التي أقامها العهد العباسي والفاطمي الأندلسى مثل سـد النهـروان وسـد الرستن وسد الفُرات ... ثُم وسائل الري والفلاحة التي ابتكرها المسلمون مثل سور صلاح الدين الذي يجلب الماء من النيل إلى قمة جبل المقطم ... ولقد وضعوا فـي النيل آلة متطورة ترفع الماء إلى ارتفاع عشرة أمتار لكي يتدفق من هذا الارتفـاع إلى القلعة مباشرة؛ وطواحين الماء والهواء، وما فيها من تروس معشقة وعجـلات ضخمة متداخلة؛ وهذا الاستغلال العبقري لنظرية الأواني المستطرقة في توصـيل المياه في سكة من المواسير إلى البيوت أو في بناء النوافير داخل القصور كما فـي نوافير الماء الراقصة في قصر الحمراء، وهذا علاوة على استغلالها فـي تحريـك الدمى والأبواب؛ ولقد أكد العلماء أن المدن الإسلامية أول مدن في التاريخ تستعمل شبكات المياه من المواسير المعدنية وذلك قبل أوروبا بعدة قرون، ومازالت إحـدى هذه الشبكات حتى اليوم موجودة في مدينة (عنجر) شـرقي لبنـان وقـد أقامهـا



الأمويون في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ... وتُحدثنا كُتب التاريخ عن الكثير من الاختراعات العجيبة في قصور الخُلفاء وأثرياء المسلمين، وتحضـرني قصـة طريفة حدثت لأحد الخُلفاء الذي كان مصاباً بالأرق، فصنع له العلماء فراشاً فـوق بحيرة من الزئبق ليساعدوه على النوم، وجاء في وصف مقصورة جامع مـراكش المصنوعة أيام الموحدين أن جدرانها ومنبرها كانت تتحرك بمجرد أن تلمس رجل الخليفة الأزرار الموضوعة في المدخل الخاص به عند دخوله المقصورة، وكانـت هذه المقصورة تُدار بحيل هندسية بحيث تُنصـب إذا اسـتقر المنصـور ووزراؤه بمصلاه وتختفي إذا ذهبوا ... وقد تجلت مهارة المسلمين الميكانيكية فـي صـناعة الساعات الكبيرة والصغيرة ويذكر ابن كثير في كتابه البداية والنهاية علي ما أذكر في الجزء التاسع أن أحد أبواب جامع دمشق كان يسمى باب الساعات لأن الساعات التي اخترعها فخر الدين الساعاتي كانت مستخدمة فيه ... وكانت هناك سـاعة إذا تم الوقت المحدد لها خرجت منها حية من الحديد ... وتُغرد عصافير جميلة الصنع ويصيح غراب حديدي بأعلاها؛ وتسقط حصاة في طست ليخرج صوت قوي فيعلم الناس أنه قد ذهب من النهار ساعة؛ ويقول ابن جبير في وصف هذه الساعة أنهـا كانت بالليل لها نظام آخر خلاف ذلك حيث كانت تُجهز بمصباح يدور بـه المـاء خلف زجاجة داخل الجدار، فكلما انقضت ساعة عم الزجاجـة ضـوء المصـباح ولاحت للأبصار دائرة حمراء؛ وكانت هذه الساعة في غُرفة كبيـرة ... وهنـاك

شخص يقيم بداخلها وهو مسئول عن صيانتها وإدارتها ... ومدرب على أعطالهـا الميكانيكية، وكُل الذي ذكرته يعتبر جزء يسيراً عن الإنجازات التي قام بها العرب في الطب والهندسة والزراعة والعديد من العلوم التي تعلمها الغرب منا وغيروا من التاريخ وأخفوا فضل العرب عليهم ونسبوا جميع العلوم والابتكارات لهم ولعلمائهم.

نظر الأب إلى صغيره الذي سرح بخياله في كل هذه الاختراعات وهو يقول : ـ

ـ أعلمت الآن يا ولدي من هم أجدادك ...

ابتسم أحمد وهو يقول : ـ

ـ نعم يا أبى ... إن أجدادي هم صناع الحضارة، وصانعي التاريخ ...

